

نينوى في ضوء النقيبات الأثرية

(١٩٦٥ - ١٩٦٧)

بقلم : الدكتور طارق مظلوم

مدير الأبحاث الآشورية

نينوى في التاريخ الحضاري والآثري مكانة بارزة وأهمية كبرى ، فهي العاصمة الآشورية الثانية بعد آشور ، تنتشر خرائبها اليوم فوق الضفة الشرقية من دجلة قبل مدينة الموصل بشمال العراق [اللوح ١]^(١) .

وكانت نينوى مستوطنا قديما منذ ستة آلاف سنة قبل الميلاد وصارت بعد ذلك مركزا حضاريا عظيما لمختلف الفنون والمعرفة في الشرق القديم . وقد هدانا البحث الآثري الى كثير من معالمها التاريخية والفنية فكشف لنا عن بقايا نوع من الفخار عرف باسمها وينسب اليها ذلكم هو فخار نينوى حيث عثر عليه في الطبقة الخامسة من طبقات سكنائها . وهذه الصناعة عبارة عن مجاميع من الفخار الملون والمحزق بنقوش مفرعة غائرة بعض الشيء تعود الى حوالي ٣٠٠٠ سنة قبل

وفي العهد الهلينستي أصبحت نينوى مدينة صغيرة حيث انحصرت السكنى فيها بمساحات ضيقة غير تلك التي عرفناها في الأزمنة المارة

(١) انظر الألواح المنشورة مع النص الانكليزي لهذا المقال في هذا المجلد من «سومر» .

الحجارة ، يبلغ محيطه حوالي اثنتي عشر كيلومترا تقريبا ويتفاوت عرضه بالنسبة لبعض المناطق التي يحيط بها فيبلغ أحيانا حوالي ٤٥ مترا .

ولهذا السور الذي يبلغ طوله في هذه الجهة حوالي ٥ كيلومترات أبواب كثيرة ترسم على كل جهة من جهات المدينة تقريبا . وقد حدد الملك سنحاريب الذي حكم ما بين ٧٠٥ - ٦٨١ قبل الميلاد أسماء ومواقع هذه الابواب ، فالقسم الشرقي من السور يضم ستة أبواب أولاها « باب خيلزي » ويعد هذا من أبواب المدينة الكبرى في هذا الجانب يوصله جسر حجري للعبور وما زالت بعض الأطلال حاولنا استظهارها وبالأخص الجدران الشرقية لها والمشيدة بالحجارة كما رسمنا لها مخططات كوتورية شيئا لمعلمها ومعالم المنطقة التي تحيط بها [اللوح ١٣] .

وثانيهما (باب شمش) وتعد من أكبر أبواب نينوى ، تنسب الى الاله الآشوري شمش وقد حاولنا أيضا ايضاح معالمها الكثيرة خلال سنتي ٦٥ - ٦٦ كما سنوضح ذلك بعد قليل . والباب الثالث باب (نليل) وتنسب الى الاله نليل أحد آلهة الدولة الآشورية الرئيسة والرابع هو باب مشلال والخامس يُعرف باسم شبانيا نسبة الى مدينة شبانيا والتي تعرف أطلالها اليوم بتل بلا قرب بعشيقه . أما الباب السادس ، فهو باب « خلاخي » وهو الاخير في هذا الجانب من السور .

أما السور الشمالي الذي يبلغ طوله كيلومترين

الذكر . كما ورد اسم نينوى في كثير من المصادر العربية فقد ذكرها من المؤرخين والجغرافيين العرب أبو الفدا وابن حوقل وياقوت واليعقوبي .

ازدهرت نينوى وتوسعت عمائرها شيئا فشيئا على أيدي الملوك الآشوريين الذين تناوبوا الحكم فيها فأصبحت مركزا حضاريا كبيرا ، ثم تناولتها أحداث الحياة واحدة بعد الأخرى فسقطت وتحولت عمائرها من قصور ومعابد وأسوار الى خرائب لا حياة فيها . وفي القرن الماضي والعصر الحديث هدى البحث الاثري في بعض خرائبها الى معرفة الكثير من معالمها وأبنيتها ، فعرف ان التل الكبير الذي يترسم داخل أسوارها المعروف حديثا باسم « قوينجق » ، يبطن في داخله معابد وقصور مزينة بالمنحوتات من تلك التي بناها الآشوريون ، ولا شك ان قوينجق هو مركز نينوى الرئيسي . وكذلك خرائب التل الواقع الى الجهة الجنوبية من قوينجق المعروف حديثا بتل « النبي يونس » أو تل « التوبة » (صاحب الحوت المعروف) يبطن في داخله ، وتحت مسجد هذا النبي ، بعض القصور والمعابد الآشورية التي يرتقي زمنها الى الادوار الاخيرة من تاريخ الدولة الآشورية [اللوح ١] .

وكلا التلين والتل الأخرى محاطة جميعها من الخارج بسور عظيم للدفاع يحيط به خندق عظيم . وهناك في الجهة الشرقية من المدينة سور خارجي يتألف من حائل ترابي ما زال شاخصا الى اليوم يليه خندق هائل يمتد من الشمال الى الجنوب يعرف اليوم بوادي الدلملماجة . والسور مشيد باللبن السميك ، اسسه من

- تقريباً فيضم ثلاثة أبواب ابتداء من الجهة الشرقية •
- ١- باب ادد ٢- باب نركال ٣- باب سن • ولقد حاولت مديرتنا صيانة باب نركال المكتشفة عام ١٩٣٦ وأعادت بعض أجزائها الى ما كانت عليه وحازلت كذلك اعادة الثورين المنحنيين المكتشفين في مدخل هذا الباب وجعلت منها متحفاً محلياً لمدينة نينوى •
- أما بوابة « سن » [اللوح ٢] فقد تمكنا من استظهار أجزاء مهمة منها وهي عبارة عن ممر بمثابة سلم يتدرج في الانحدار ويدور حول كتلة مستطيلة من اللبن حتى يرتقى الى أعلى الاسوار • والقسم الشمالي من هذا الممر يضم فتحات عمودية ضيقة تنفذ الى أعلى جدار السور ، الغرض منها دخول الهواء النقي الى هذا المكان [اللوح ٣ أ] •
- أما البوابة الاصلية فلم تتمكن من العثور على بقاياها وذلك لزوال معالمها اذ يمكن تحديد موقعها الى الشرق من الممر المذكور حيث تنتشر هناك بعض الحجارة المهدمة التي تستخدم عادة في بناء البوابات [اللوح ٢] • هذا ، وسوف نشر بحثنا مفصلاً عن هذا القسم من سور نينوى في مقال آخر •
- وقد يكون من الجدير أن نذكر اننا قمنا بالجس الأركيولوجي في بوابة ادد وذلك في موسم عام ١٩٦٦ حيث أظهرت لنا التفتيات جدراناً سميكة من اللبن ، كما قمنا بعمل خارطة كتور لها أملين ان نقوم بالحفر فيها في المواسم القادمة • غير ان جامعة الموصل باشرت بالتنقيب والصيانة في هذه البوابة بعد أن أتاحت لها مديرية
- الآثار العامة فرصة علمية للعمل في هذا الموضوع • وستشر الجامعة عما قريب النتائج التي توصلت اليها •
- أما السور الغربي فطوله حوالي ٤ كيلو مترات و ١٠٠ متر وهو يضم خمسة أبواب ابتداء من الشمال الى الجنوب وهي :-
- باب ماشكي ، وباب كاري وباب مادباري وباب ايكالمشارتي وباب خندوري ، وما زالت جميعها خاضعة للكشف الاثري •
- وأما الضلع الجنوبي من سور نينوى العظيم فطولها ٨٠٠ متر وتضم باباً واحدة هي باب « آشور » عرفت بهذا الاسم نسبة لموقعها باتجاه العاصمة الآشورية آشور (أو باسم الاله آشور) المعروفة حديثاً بقلعة « الشرفاء » • هذا ، ويشطر مدينة نينوى نهر صغير يعرف بنهر الخوصر أو نهر خوزور ، كما جاء في المصادر الآشورية ، وما زال دائم الجريان في أكثر أوقات السنة ويصب في نهر دجلة •
- بعد هذا العرض الموجز لخرائب مدينة نينوى ومواقعها وأسوارها تنتقل الآن الى ذكر أعمال الحفر والصيانة المنجزة خلال الفترة ١٩٦٥ - ١٩٦٧ •
- كان السبب الرئيس لأعمال الحفر والصيانة في خرائب نينوى التاريخية هو طغيان المباني الحديثة لمدينة الموصل وزحفها وتوسعها الى أراضي المنطقة الاثرية وهي مشكلة كبيرة ستسبب لنا ضياع أكبر عاصمة في تاريخ الحضارة الانسانية • ويبدو أن مصيبة التوسع العمراني وطغيانه على المواقع الاثرية ليست في العراق فحسب

الان • وقد تمكنا من تحديد مرافق هذه البوابة بخرائط ومخططات تمهيدا لصيانتها والحفر فيها [اللوح ٧] •

ولقد هدى البحث في عام ١٩٦٦ الى الجبهة الشرقية الخارجية لباب شمس فظهرت انها مشيدة بحجر الحلان ، أغلبه وجد مدفونا في الاتربة المتراكمة أمام البوابة • وبعد الحفر والتقيب تمكنا من تحديد مدخل البوابة [اللوح ٦ ب] ، وطولها ومقاساتها حيث تبين ان طول جبهتها الشرقية يبلغ ٦٦ مترا يتوسطها مدخل بعرض ٥٥م وترتفع على كل جانب من جوانب المدخل ثلاثة أبراج مشيدة بالتناظر والتساوي حيث وجد أن عرض كل منها ٣٥م [اللوح ٥ أ] •

وهدى البحث كذلك الى أن واجهة البوابة التي هي بهيئة مصطبة والسور المصاحب لها مشيدة جميعها بالحجر وتبين كذلك أنها تبرز عن هذا السور بمقدار ٢٢٥م ويلبي الواجهة الحجرية جدران سميكة من اللبن المربع بقياس ٣٧ × ٣٧ × ١٢ سم للبنة الواحدة وهي تشكل أربعة أبراج • ويعلو المدخل قوس أو عقد بيضوي الشكل ؟ مشيد بالحجارة وجدت معظمها عند الباب • كما عثر على آجر مربع يشبه اللبن من حيث القياس أغلبه مختوم بكتابة تحمل اسم الملك سنحاريب • ويدل الاستقراء للكتابة على أن سنحاريب بن سرجون الثاني هو الذي جدد بناء السور وبعض أبوابه ومواقعه الدفاعية ومن بينها باب شمس •

أما الواجهة الغربية لباب شمس [اللوح ٨ ب]

بل في العالم العربي أيضا - وهي مشكلة لا بد من حلها - فلذلك حاولت مديرتنا جهد الطاقة حماية نينوى من هذا الطغيان العمراني • فبادرت بارسال هيئة للعمل هناك باشراف كاتب المقال وبعضوية مجموعة من خبراء المديرية ، باشرت بأعمال الحفر والصيانة الاثرية في بعض مواضعها المهمة بعد أن رصدت لها المبالغ اللازمة • وبشرافنا بالعمل منذ سنة ١٩٦٥ وحتى الآن • وفيما يأتي وصف موجز لسير العمل •

١ - باب شمس

ذكرنا فيما تقدم ان باب شمس من أكبر أبواب السور الشرقي لمدينة نينوى وأكثرها ارتفاعا وقد وجد بالقياس انها ترتفع بمقدار ٢٣ مترا و ٢٥ ستمترا عن بطن الوادي المجاور لها ، وتقع على الطريق الذي يربط مدينة الموصل بلواء أربيل [اللوح ٤] •

وتألف بقايا هذه البوابة من مرتفعين أحدهما بهيئة مصطبة مشيدة بالحجر ، أمامها جسر منحوت في الارض الصخرية ويقع في بطن الوادي الذي يمتد على طول سور نينوى الشرقي ولهذا الجسر أنفاق لعبور الماء الى الجهة الثانية من الخندق • ولقد حاول المنقب الانكليزي «هنري ليرد» في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الحفر والنش في بوابة شمس فعمل جملة أنفاق لمعرفة ما تبطنه من آثار ولقى وتبعه في هذا العمل مساعده هرمرز رسام من أهالي الموصل • وتوصلا نتيجة لهذا النش الى ألواح آشورية منحوتة بالكتابات كانت تزين جدار البوابة وغرفها ، وما زالت بعض أماكنها ماثلة حتى

اللبن اذا تعرض للعوامل الجوية ذاب وتفتت
[اللوح ٥ ب] •

٢ - تل قوينجق

ذكرت كذلك أن تل قوينجق يتوسط مدينة
نينوى وقلت انسه مركز المدينة لاحتوائه على
قصور ومعابد • ولقد تمكنا من اجراء التنقيب في
هذا الموضع سنة ١٩٦٦ وتم الكشف عن قاعة العرش
للملك الآشوري سنحاريب وبعض المرافق التي
تعود اليها ولقد خضع هذا الموضع في القرن الماضي
الى الحفر والنش فاستخرج منه هنري ليرد عام
١٨٥١م الواحاً حجرية منحوتة بتصوير ونقوش
وكتابات يزيد طولها على ما يقارب الميل الواحد
نقلها جميعا الى المتحف البريطاني ، وكذلك هرمز
رسام الذي تابع حفريات ليرد فوجد ما يقارب من
عشرين ألف رقيم طيني أغلبها في الادب والمعرفة
تسربت جميعها الى خارج العراق أيضا • وكذلك
حاول جورج سميث من المتحف البريطاني ايضا
استخراج اعداد اخرى من هذه الرقيم وتعاقب
غيره من المتحف المذكور للحفر في قوينجق
آخرها كان برئاسة كامبل طومسن • وبمساعدة
الاستاذ ملوان وقد تركزت أعمالهم في وسط
هذا التل •

وكانت اعمالنا قد تركزت في قصر سنحاريب
منذ عام ١٩٦٦ وحتى الان ، حيث استظهرنا قاعة
العرش الكبرى وبعض مرافقها [اللوح ٩] •
ووجد ان مدخل القاعة مزين بثورين مجنحين
وبعض ألواح منحوتة من الحجر عليها رسوم
ومشاهد كثيرة من الحياة الآشورية • وكذلك

فقد تبين انها مشيدة باللبن وعليها كسوة من ألواح
الحجر يزيد ارتفاع كل حجرة بما يقرب من متر
ونصف تقريبا وهي تضم برجين قياس طول كل
منهما ٩ر٥م ومعدل مدخل الباب في هذا الجانب
٦٧٥م ثم تضيق الى مقدار ٢٠م من كل
جانب • والمدخل في هذا الجانب مكسو بالواح
الرخام •

ولوحظ أن بعض تلك الالواح عليها نقوش
حيث وجد على واحدة منها صورة برج يحترق
ورجل يرتدي على رأسه عصاية وصورة حصان
وأسد ، ويبدو ان أحد الفنانين الآشوريين قد
صور هذه المشاهد في دور لاحق لسقوط نينوى
وسوف ننشر هذه الرسوم في مقال آخر •

والمدخل الغربي للبوابة يتصل بالمدخل
الشرقي بممر طوله ٦١ مترا مرصوف بالواح من
الرخام في كل جانب من جوانبه ثلاثة غرف
كبيرة تم الكشف عن غرفة واحدة منها
[اللوح ٧] •

ولوحظ كذلك أن المدخل الشرقي قد مر
بثلاثة أدوار بنائية تضيق بعض الشيء في الادوار
الاخيرة من حياة المدينة كما اضيفت بعض
الجدران الى المبنى الاصلي •

بعد عملية الحفر والتنقيب في هذا الجانب
حاولنا صيانة باب شمش وأجزاء من السور
المصاحب لها وتمكنا من اعادة الاحجار المتساقطة
الى مكانها الاصلي وبناء الجدران والمصطبة
والابراج مستخدمين في ذلك نفس المواد القديمة
وهي اللبن المخلوط بالمواد المتينة لان الغالب على

كتابات مسمارية تشير بعض نصوصها الى اسم الملك سنحاريب الذي شيد هذا الجانب • وهدى الكشف الاثري كذلك لصق قاعة العرش الى العنور على غرفة صغيرة يدل تخطيطها وبنائها على انها كانت حماما للملك [اللوح ٩] • أرضها مفروشة بالواح الحجر ، ولوحظ ان الجانب الغربي لمدخل قاعة العرش تزينه ثيران مجنحة بالحجم المتوسط •

وفي الوقت الحاضر يقوم المختصون في مديريتنا بصيانة هذه المنحوتات وعمل سقف كبير لهذه الغرف لجعلها متحفا محليا يزار في الموقع نفسه •

وفي الختام علينا ان نذكر ان اعمال الحفر قد شملت القسم الامامي من بوابة نركال وكان الشروع بهذا العمل قد ابتدأ في الموسم الاخير لسنة ١٩٦٧ - ١٩٦٨ • وقد اظهرت التنقيبات أن القسم الواقع أمام بوابة نركال من الجهة الخارجية عبارة عن منحدر ترابي كسي والآشوري وسكان الجبال •

ويشاهد كذلك حصار لعدة مدن القسم الاعلى منه باحجار قطعت بهيئة مستطيلة وكتائب من فرق الخيالة وحاملي الرماح والاقواس ورصفت بشكل صفوف متوازية •